مظاهر الاعتزال في تفسير التبيان للشيخ الطوسي وأثرها في توجيه الدلالة القرآنية

أ.م.د. حيدر جبار دفتر

جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم علوم القرآن

Manifestations of Mu'tazila in the Interpretation of Al-Tibyan by Sheikh Al-Tusi and its Impact on Directing the Quranic Meaning

Asst. Prof. Dr. Haider Jabbar Daftar

Al-Qadisiyah University/ College of Education/ Department of Quranic Sciences

ملخص البحث

في محاولة أرجو أن تكون جادة في الحديث عن ظاهرة(الاعتزال) في تفسير التبيان للشيخ الطوسي(رحمه الله) وما مدى أحقية هذه الظاهرة، وهل لها مصاديق تنبئ عن ذلك وتدفع باتجاه تغير الدلالة القرآنية... ومن ثمَّ إثبات ذلك أو نفيه.

أقول: لا أريد الحديث عن المعتزلة بلحاظ أنهم فرقة إسلامية لها آراؤها ومتبنياتها فقد تكفلت بذلك كثير من المصادر، ولكن بقدر تعلق الشيخ الطوسي في تفسيره بهم وقد صرَّح بذلك في مقدمة تفسيره قائلا: «والمتكلمين-كأبي علي الجُبائي وغيره- صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية. ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في فنون علمه، فأدخل فيه ما لا يليق به، من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء -كالبلخي وغيره- وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً، محمد بن بحر، أبو مسلم الأصفهاني، وعلي بن عيسى الرماني، فإنَّ كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى، غير أنَّهما أطالا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً ممَّا لا يحتاج...» المقدمة:٧٥

وممّا يثير الدهشة أيضاً أنَّه قد طبعت في الآونة الأخيرة موسوعة علمية قرآنية تعنى بل تجمع تراث المعتزلة التفسيري بعد أنْ غيَّبه الزمن في بطون الكتب، هذا التراث الذي لخَّصه الدكتور خضر محمد نبها من تفاسير الإمامية وعلى رأسها كتابي التبيان ومجمع البيان، وكذلك تفاسير الأشاعرة يتقدمها التفسير الكبير للرازي، وهذا يدل دلالة واضحة وبينة على أنَّ التراث التفسيري للمعتزلة يشكل ظاهرة في تفسير التبيان تستحق الوقوف والدراسة، وقد أحصى الدكتور نبها ما يزيد على(٣٠٠) موضع قد ذكر فيها الشيخ الطوسي أعلام المعتزلة في مواضع مختلفة

وفي مسائل شتى.

وأراني أن أفتتحها بتمهيد يتضمن تجليات المعنى القرآني عند الأوائل في القرون الهجرية الأربعة الأولى منقسم على الإرث التفسيري في تلك القرون والاعتزال بوصفه رافداً تفسيرياً، أمَّا المبحث الأول فسيسلط الضوء على مرجعيات الشيخ في بيان الدلالة القرآنية، ومن هنا وهناك تتفتح مسالك الدلالة في تفسير التبيان لتظهر كوة التفسير الاعتزالي وأثره في ذلك.

Abstract

In an attempt that I hope will be serious in discussing the phenomenon of 'Alienation' (Mu'tazila) in the Interpretation of Al-Tibyan by Sheikh Al-Tusi (may Allah have mercy on him) the extent of the legitimacy of this phenomenon, and whether it has examples that indicate this and push towards changing the Quranic meaning... and then prove or deny that?

As a researcher, I do not want to talk about the Mu'tazila in terms of the fact that they are an Islamic sect with their own opinions and beliefs, addressed by many sources. Nonetheless, I will delve as much as Sheikh al-Tusi was attached to them in his interpretation. He stated this in the introduction to his interpretation, saying: "And the theologians - such as Abu Ali al-Juba'i and others - devoted their attention to what is related to theological meanings. Among them are those who added to that speech in the arts of his knowledge, and introduced into it what is inappropriate for it, from the expansion of the branches of jurisprudence, the differences of the jurists - like Al-Balkhi and others - and the most correct of those who followed in that a beautiful and moderate path, Muhammad bin Bahr, Abu Muslim Al-Isfahani, and Ali bin Isa Al-Rummani. Their two books are the most correct of what was written in this meaning, except that

they prolonged the sermons in it, and included in it much that is not needed..." Introduction: 75

It is surprising that a scientific Quranic encyclopedia has recently been printed that deals with, and even collects, the Mu'tazilite interpretive heritage after being hidden in the books throughout the time. This heritage was summarized by Dr. Khader Muhammad Nabha from the Imami interpretations, at the forefront of which are the books Al-Tibyan and Majma' Al-Bayan, as well as the Ash'ari interpretations, led by Al-Razi's great interpretation. This is clear evidence that the Mu'tazilite interpretive heritage constitutes a phenomenon in the interpretation of Al-Tibyan that deserves to be studied. Dr. Nabha has counted more than (300) places in which Sheikh Al-Tusi mentioned the prominent Mu'tazilites in different places and on various issues. As a researcher, I starts it with an introduction that includes the manifestations of the Qur'anic meaning among the early scholars in the first four Hijri centuries, divided between the interpretive legacy in those centuries and Mu'tazilite thought as an interpretive tributary. As for the first section, it sheds light on the Sheikh's references in explaining the Qur'anic meaning. From here, the paths of meaning in the interpretation of Al-Tibyan open up to reveal the Mu'tazilite interpretation and its effect on that.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن ربيع قلوبنا وصلى الله على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعدُ...

إنَّ العلم غريم لا يرضى من طالبه بغير ممارسة الأشقّ، وملابسة الأحقّ، وإلا آلَ الأمر الى فساد مُصمتٍ ليس فيه شائبة من صلاح، وكان العمل كما يقول بعض المتقدمين – من قبيل تكليف الأعمى نقط المصاحف– والحديث عن ظاهرة باتت موضع شبهة، أو قل ربما أثراً ومؤثراً أو توارد خواطر، وربّما ندفع كلَّ ذلك ونميط اللثام عن مخبوء أثاره بعض الأعلام أو مسكوت عنه يحتاج الى مثوِّر، شرط ذلك أن يكون ذلك المثوّر من أوسط القوم، يحمل بين طياته نفس العلم والعلماء.

في محاولة أرجو أن تكون جادة في الحديث عن ظاهرة (الاعتزال) في تفسير التبيان للشيخ الطوسي(رحمه الله) وما مدى أحقية هذه الظاهرة، وهل لها مصاديق تنبئ عن ذلك وتدفع باتجاه تغير الدلالة القرآنية، ومن ثمَّ اثبات ذلك أو نفيه.

أقول: لا أريد الحديث عن المعتزلة بلحاظ أنهم فرقة إسلامية لها آراؤها ومتبنياتها فقد تكفلت بذلك كثير من المصادر، ولكن بقدر تعلق الشيخ الطوسي في تفسيره بهم وقد صرَّح بذلك في مقدمة تفسيره، قائلا: «والمتكلمين -كأبي علي الجُبائي وغيره- صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية، ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في فنون علمه، فأدخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء -كالبلخي وغيره- وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً، محمد بن بحر، أبو

مسلم الأصفهانيّ، وعلي بن عيسى الرمانيّ، فإنَّ كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى، غير أنَّهما أطالا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً ممَّا ا يحتاج...» المقدمة:٧٥

من هنا يبدأ التناوش هذا فضلا عن المواضع الكثيرة التي وقف الشيخ عندها في تفسيره محاورًا ومناقشًا ورادًّا ومتفقًا مع شيوخ المعتزلة أمثال أبي بكر الأصم (ت ٢٢٥هـ)، وأبي علي الجُبَّائي(ت٣٠٣هـ)، وأبي القاسم البلخي(ت٣١٩هـ)، وأبي مسلم بن بحر الأصفهانيّ (ت٣٢٢هـ) وأبي الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ)، والقاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ).

ولم يثر أعلام الطائفة الإمامية، ولم يتحدثوا عن هذه الظاهرة -أي النقل عن المعتزلة- أو التأثر بهم، ولم يبرروا للشيخ ذلك على الرغم من تصريح الشيخ وإعجابه ببعضهم، ولربما هم أفضل من كتب في علم التفسير ممن تقدم - على رأيه- بل قد صرح به كبار المحققين من رجالات الامامية أمثال محمد بن إدريس الحليّ(ت ٥٩٨هـ)، وهو كثير الوقائع مع الشيخ الطوسي، دائم الرد على معظم مؤلفاته، غير أنَّه يقف عند كتاب التبيان ويعترف له بعظم الشأن واستحكام البنيان، وقد بلغ من إعجابه به أنْ لخصه وسمَّاه (مختصر التبيان أو المنتخب من التبيان)، ولم ينتقد ظاهرة الاعتزال ولم يتحدث عنها في مختصره.

وممّا يثير الدهشة أيضاً أنَّه قد طبعت في الآونة الأخيرة موسوعة علمية قرآنية تعنى بل تجمع تراث المعتزلة التفسيري بعد أنْ غيَّبه الزمن في بطون الكتب، هذا التراث الذي لخَّصه الدكتور خضر محمد بنها من تفاسير الإمامية وعلى رأسها كتابي التبيان ومجمع البيان، وكذلك تفاسير

الأشاعرة يتقدمها التفسير الكبير للرازي، وهذا يدل دلالة واضحة وبينة على أنَّ التراث التفسيري للمعتزلة يشكل ظاهرة في تفسير التبيان تستحق الوقوف والدراسة، وقد أحصى الدكتور نبها ما يزيد على(٣٠٠) موضع قد ذكر فيها الشيخ الطوسي أعلام المعتزلة في مواضع مختلفة وفي مسائل شتى، زِد على ذلك أنَّ أساتذة الشيخ الطوسي أمثال الشريفين المرتضى والرضي، فقد نقلا عن المعتزلة في كتابيهما (تنزيه الانبياء والأئمة/ للمرتضى) و(حقائق التأويل ومتشابه التنزيل/ للرضي)، إذ نجد نقولات عن الجُبَّائيّ والأصفهانيّ.

ومن هنا _وهي محاولة تمثل جهد المقل_ حاولت أن أترجل لأدخل عرين الشيخ باحثاً منقباً وممحِّصاً لجهد رجل تشهد له الأنداد وهو بذلك قمين، وقد عرفته القروم قبل القرون، ولي فيما قاله أبو الثناء الآلوسيّ خير تسلية، وتعبير ينطبق على حال الشيخ: «وإنِّي ولله تعالى المنة مذ ميطت عنِّي التمائم ونيطت على رأسي العمائم لم أزل متطلبًا لاستكشاف سرّه المكتوم، مترقبًا لارتشاف رحيقه المختوم طالما فرقت نومي لجمع شوارده، وفارقت قومي لوصال خرائده...» روح المعاني:١/ ٤

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ كل الدراسات التي تناولت جهد الشيخ بالدرس صوتًا وصرفاً ونحواً ودلالة لم تشر إلى هذه الظاهرة لا من قريب ولا من بعيد سوى إشارات وعبارات لنقولات عن المعتزلة من غير الوقوف على ذلك، أو إعطائها أهمية تذكر.

والذي يعزز ماذكرناه أنَّ الشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ) قد صرح في مقدمته بأنَّ تفسير الطوسي هو الهادي له، ومع ذلك وجدت أكثر نقولات الطوسي عن المعتزلة موجودة فيه، وقد

زاد على شيخه بعض النقولات الأخر غير أنَّه لم يكن ناقلاً أو مهذباً لتفسير الطوسي فحسب في هذه الظاهرة، بل يبدو أنَّه اعتمد على تفاسير المعتزلة ونقل عنها.

كل ما تقدم دعاني إلى أن أتمثل هذه الظاهرة من النقولات والموافقات والردود في مدونة تفسيرية هي الأولى من حيث تفسير جميع القرآن كما أشار إلى ذلك الشيخ نفسه...المقدمة:٧٥ وإنِّي لا أُغتبط على هذا العمل اغتباط البدوي الذي وجد ضالته بقدر ما تملي عليَّ هذه الظاهرة تمحيصاً وتدقيقاً ومعرفة بمآل العلوم وما ينشده هؤلاء الأعلام.

وأراني أن أفتتحها بتمهيد يتضمن تجليات المعنى القرآني عند الأوائل في القرون الهجرية الأربعة الأولى منقسم على الإرث التفسيري في تلك القرون والاعتزال بوصفه رافداً تفسيرياً، أمَّا المبحث الأول فسيسلط الضوء على مرجعيات الشيخ في بيان الدلالة القرآنية، ومن هنا وهناك تتفتح مسالك الدلالة في تفسير التبيان لتظهر كوة التفسير الاعتزالي وأثره في ذلك.

الباحث.

التمهيد:

تجليات المعنى القرآني عند الأوائل.

قبل الحديث عن الاعتزال والمعتزلة، ومتبنيات هذه الفرقة لابَّد أن نتفق على أنَّ المفكرين عامة ومنهم المفسرين كلٌّ يعمل على قدِّه وقدره ووفاقًا لمرجعياته العقدية والمذهبية قبل اللغوية بفروعها المختلفة، بمعنى أنّ الإرث التفسيري في كافة القرون الهجرية ولاسيما في القرون الهجرية الأولى لا يخلو من تدافع وتداخل وتواشج على مستوى العلوم وما تحصل منها، وقد لاحظنا ذلك ولا نشك فيه قيد أنملة وها هي مدونات

النحو، واللغة، والتفسير ماثلة بين أيدينا، وقد أشار الأعلام والباحثون الى هذه الظاهرة كلٌّ بحسب توجهه واختصاصه.

أقول: إنَّ الأصول الأولى لفهم دلالة النص القرآني -من الناحية اللغوية- تكاد تكون واحدة في صوتها، وصرفها، ونحوها، ودلالتها، وكذلك في موجهاتها الخارجية وما يحيط بالنص من سياقات حالية ومقامية واجتماعية، غير أنَّ النزعة المذهبية والعقائدية هي الأخرى لها النصيب وربَّما الأوفر في تغيّر حال الدلالة بلحاظ موجهاتها.

وربّما زيْدَ على ذلك أن يعجب مفسِّرُ بلغة غيره وبامكاناته العقلية والنقلية والاستدلالية ويتبنى رأيه مصرحاً به أو خاف له.

وبلحاظ هذه الجنبة العقدية قيل: «إنَّ المعتزلة والمتكلمين على نحو عام - وقد تتسع هذه الدائرة - ينحرفون في النصوص اللغوية لمصلحة المسلَّمات العقيدية التي يتبنوها وعندما أقول مسلمات، لأنني على يقين أنهم تبنّوا نظريات قبلية أصبحت بمثابة المسلمات التي دفعتهم دفعاً للانحراف بالنص اللغوي لصالح عقيدتهم»[1] فكيف بالأمر إذا كان يتعلق بالدلالة القرآنية.

وذهب جلُّ الدارسين إلى أنَّ الغاية من القراءة هي فهم النصّ وأنَّ مهمة فهم النص تتوجه بالدرجة الأولى إلى معناه[2] فالدلالة في كتب التفسير حصرًا ممارسة تأويلية أولاً وقبل كل شيء فإن كان من تعقيد لها فعرضي في الغالب.

لقد تبنى كبار الأعلام من اللغويين، والنحويين، والمفسرين، بعض متبنيات أهل الاعتزال ووافقوهم فيما ذهبوا إليه على الرغم من أنَّ القرون الهجرية الأولى قد حملت

كلَّ أعباء التفسير والتأويل لكل الفرق الإسلامية والمذهبية، ولاشك في أنَّ لكل نخبة أعلامها، وقد كان الشيخ الطوسي على مقربة من ذلك يسير حثيثاً متتبعاً لما يدور في مدونة العلم والمعرفة وقد بيَّن ذلك في مقدمته مشيراً إلى أهمية علم التفسير وكيفية الأخذ منه والوقوف عنده، ولكن القراءة مهما كانت موضوعية لا مناص لها من أن تكون ذاتية ولو بحدّ أدنى يكون خاصة في منطلق العملية وهو ما يرتسم في ذات القارئ من المقدمات المستحسنة أو المستهجنة، ولذا قيل إنَّ الباحث الموضوعي مجرد وهم كبير، فالموضوعية نسبية تتعلق بصاحبها وبظروفها المحيطة بها فتنغلق مرة وتنفتح أخرى.

وحينما نقلب كتب التفسير، والمفسرين نجد المؤرخين لذلك قد تداخلت تصنيفاتهم لبعض المدونات التفسيرية، بل قد نسبوا بعض الأعلام من المؤلفين إلى طوائف آخرى عقائدية ومذهبية، واستمرت هذه الشبهة ملاصقة لهم على الرغم من علو شأنهم وكعبهم في مجال اختصاصهم، ولا يخفى على القارئ ما نُسب إلى الشريف المرتضى، فالرجل قد صُنِّف في خانة الاعتزال والمعتزلة في كل ما كتبه[٣] وغير خاف على أهل التحقيق أنَّ المرتضى من أعلام الإمامية وكتبه تشهد بذلك[٤].

وقد انسحب هذا الاتهام إلى تلامذة السيد المرتضى أمثال الشيخ الطوسي في مدونته التفسيرية وبعض كتبه الأخرى، ولاشك أن الشبهات لا تدرأ إلا بالأدلة، وحقيقة الأمر أن الطوسي قد نقل عن أعلام المعتزلة ممّن تقدمه كثيراً من المسائل وقد أشار إلى بعضهم كما ذكرنا واستحسن طريقته ومعالجته.

وحين نطالع كتب التفسير الأولى على اختلاف مذاهبها ومناهجها اللغوية، والأثرية، والإشارية، والعقلية، والموضوعية نجد أنَّ تلك التفاسير لقد قامت على أسس تقليدية ومنهجية توارثها الخلف من السلف أو عقلية قامت على أصول منهجية واستدلالية، ولاشك في أنَّ المعتزلة كانوا يوصفون على أنهم الطبقة المثقفة الواعية، فقد كان منهم علماء الكلام المتبحرون وأئمة في اللغة، والنحو، وأعلام في التفسير، فواصل بن عطاء (ت ١٣٨ هـ) له من التصانيف معاني القرآن[٥] ولبشر بن المعتمر (ت في حدود ٢١٠) متشابه القرآن[٦] ولأبي هذيل العلاف (ت٢٣٥) مؤلف في متشابه القرآن وللجاحظ(ت ٢٥٥هـ) نظم القرآن والمسائل في القرآن[٧]، وصولاً لأبي علي الجبائي (ت٣٠٣) وأبي بكر الأصم (ت٢٢٥ هـ) الذي قيل عنه «والأصم من الطبقة السادسة من المعتزلة له تفسير عجيب»[٨] ولأبي القاسم البلخي الكعبي (ت٣١٩) كتاب في التفسير إذ يذكر صاحب كشف الظنون أنَّ تفسيره كبير في أثنى عشر مجلداً[٩] وزاد السيوطي عن الجبائي قائلاً: «له تفسير رأيت منه جزءاً»[١٠] وكذلك لمحمد بن بحر الأصفهاني (ت ٣٢٢) كتاب جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة[١١] والحق أنهم كثر حاولنا أن نقف على بعضهم ممّن جمعت آراؤهم في مصنفات منفردة، وقد سُئل الصاحب بن عباد: «هل صنفت تفسيراً؟ فقال: وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً؟» وكان الرماني (ت ٣٨٤) يقول: «تفسيري بستان يجتنى منه ما يشتهى»[١٢] أقول هذا غيض من فيض ولمن أراد الاستزادة فليراجع[١٣]. أريد الوصول إلى حقيقة مفادها أنَّ هذا

التراث التفسيري الضخم قد كُتب في القرون الهجرية الأولى، وهو تراث قرآني تفسيري عقدي له ثقله ومحلُّه من الدرس اللغوي والتفسيري، ولاشك أنَّ شيخنا الطوسي - وبلحاظ سنيِّ وفيات بعضهم - كان معاصراً لهم ومتتبعاً لما كتبوا ولاشك أيضاً أن الكثير من مباحثهم كانت ممّا لا يختلف عليها اثنان وعليه فقد أخذ عنهم الشيخ ما يتوافق مع مذهبه وعقيدته، ولكن الشيخ في نصه المتقدم الذي أشرنا إليه من قبلُ ونعيده هنا «والمتكلمين كأبي علي الجبائي صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية، ومنهم من أضاف إلى ذلك، الكلام في فنون علمه، فأدخل فيه ما لا يليق به، من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء - كالبلخي وغيره - وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً، محمد بن بحر، وأبو مسلم الأصفهاني، وعلي بن عيسى الرماني، فإنَّ كتابيهما أصلح ما صنف في هذا ا لمعنى، غير أنهما أطالا الخطب فيه...»[١٤] كان دقيقاً ومتحفظاً جداً في رسم خطى عجلة التفسير ومناهجه فقد تكلم بدءًا من أصحابه ومصنفاتهم في هذا العلم الجليل ووصفها بما لا يحمد أن يوقف عنده ثم تحدث عن عامة أهل التصنيف، والتفسير وعلى رأسهم الطبري صاحب جامع البيان، وبعدها انتقل إلى أصحاب الفكر الاعتزالي من اللغويين، والنحويين، والمتكلمين، وأعطى كل ذي حقّ حقّه غير أنه في كل ما قال أراد الوصول إلى رجلين منهم كان يعتقد فيهم غير ما تقدم، هما: محمد بن بحر الأصفهاني، وعلي بن عيسى الرماني اللذان وصفهما بأنهما (أصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً... فإنَّ كتابيهما أصلح مما صنف في هذا المعنى) ثم استدرك قائلاً عنها أيضاً: (غير أنهما أطالاً الخطب

فيه، وأوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج...).

أقول ومّما يحسب للشيخ صدقه، ووضوحه، وأمانته فيمن تقدم من أهل العلم وأهل التفسير خاصة بغض النظر عن مذهبه وملّته، ومّما يؤخذ عليه أيضاً - وبعد طول تتبع وعناء - أنّه قد أخذ الكثير من هؤلاء المفسرين وتبنى آراءهم ولعل الذي يشفع للشيخ ويخفف عن كاهله أنه كان متتبعاً لأهل العلم ممّن تقدمه في كل فن من الفنون ولم يجد بداً غير الأخذ منهم والاتكاء على ما قالوا، فالتراث منقول عنهم ومحفوظ في دساتيرهم، ومدوناتهم سواء أكان هذا الإرث روائياً أم لغوياً أم تفسيرياً هذا فضلاً عن تقارب عند أهل النظر، والعلم في بعض الاعتقادات والمذاهب جعلته يرجح ويميل إلى بعض الأراء مصرحاً أو ملمحاً.

ولايخفى على القارئ اللبيب فالطوسي ذا أفق واسع وعقلية مرنة متفتحة على آفاق العلم المتباينة ومصادره المتنوعة إذ لم يلتزم - بحسب ما قاله الدكتور كاصد الزيدي: «وهو الإمام الإمامي بطائفة معينة من الشيوخ ولم ينهل عن شيوخ مذهبه فحسب... ولعل هذا الاتجاه الايجابي هو الذي جعله موضوعياً في تآليفه كثير العناية بالموازنات في كتبه»[١٥] حتى عُدّ «حداً فاصلاً بين عصرين من عصور العلم - عند الإمامية - بين العصر العلمي التمهيدي، والعصر العلمي الكامل... وبدأ به عصر العلم»[١٦] زد على ذلك أن الشيخ الطوسي قد أعتمد في كثير ممّا أورده في تفسيره من المأثور على أهل السنة

وسلك في أصول الفقه مالا يسلكه الإمامية عادة، من مثل قوله بالقياس والاستحسان في كثير من مسائل كتابيه (المبسوط في الفقه

وخلاف الفقهاء). وكان الشيخ واسع الثقافة في علم الكلام بل أُعطي كرسي علم الكلام[١٧] وكان الذي يأخذون منه في هذا العلم خاصة ينتمون إلى مختلف المذاهب ولاشك أنَّ المعتزلة هم أصل الكلام وخاصته فالأثر واضح ومأخوذ به.

ويبدو أنَّ للتقارب الواضح بين علماء الإمامية والمعتزلة في هذه الحقبة أثره أيضاً، وحقيقة ذلك ماثلة في كتاب (حقائق التأويل) للشريف الرضي (ت٤٠٦) من نقول عن كبار المعتزلة كأبي علي الجبائي[١٨] وأبي علي الفارسي[١٩]وعلي بن عيسى الرماني[٢٠]، وأبي مسلم الأصفهاني[٢١] والقاضي عبد الجبار[٢٢]على الرغم من أنّه قد يروي عن بعضهم في كثير من المواضع[٢٣].

كل ماتقدم يشير وبشكل واضح إلى جلَّ الأعلام في القرون الهجرية الأولى ولاسيما المفسرين لهم جهدهم وتراثهم الذي يُعَّد بمثابة مقدمات وأصول ونتائج أفاد منها جميع من ولج هذا الميدان من الدفاع عند النص المقدس بلحاظ تعدد الرؤى والمشارب.

المبحث الأول:

مرجعيات الشيخ الطوسي في بيان الدلالة القرآنية.

الدلالة مصطلح من حيث الفهم العام له أدواته، ومسوغاته ومنظريه[٢٤] و من حيث الفهم الخاص، فهو يختلف من مؤسس ومعلّم إلى آخر، بلحاظ اختلاف الفهم وثبات المفهوم وتعدد المصداق، والشيخ الطوسيّ من رجالات القرن الخامس الهجري، امتاز بكثرة اطلاعه وتثويره للتراث العلمي، وهو مطلَّع على أكثر العلوم ومتطّلع في كثير منها، فبات الفهم عنده بمثابة مرجعية قائمة

على أصول منهجية ومعرفية تبغي غاية وهدفاً، ومرجعياته لغوية، وفقهية، وروائية، وتفسيرية وعقائدية وهلم جرا[٢٥] وظفها في خدمة النص الكريم بما تسمح به تلك الوقفات الدلالية، فضلاً عن ذلك فهو يعتز بالتراث ويتهم المجددين بالمسارعة إلى نبذه على غير بصيرة، أي أنَّه يؤمن بالمقولة القائلة (إنَّ أول التجديد قتل القديم فهماً)[٢٦].

والذي يلاحظ على الشيخ الطوسي في منهجه -وإن كان منضبطاً ممنهجاً غير متداخل- هو توظيفه للغة والمنطق والبلاغة وغير ذلك من العلوم في بيان الدلالة وبما يتطلبه السياق والاستعمال من دون الاستطراد والخروج عمّا يريده النص والقارئ.

وقد تعددت مظاهر الدلالة عند الشيخ في تفسيره، فبعضها متصل بالجانب العقلي وأخرى تدور حول المنهج الأثري، ولا يخفى ما للجانب اللغوي من أثر، زد على ذلك ما يتعلق بعلوم القرآن والعقائد.

وتشعرنا مؤلفاته بهذه العقلية المتفتحة والثقافة الواسعة، ولعل تفسيره التبيان خير ما يمثل هذا الاتجاه، إذ وجدناه زاخراً بمصادر متنوعة لمؤلفين من الشيعة والسنة والمعتزلة، حتى أنَّ الأستاذ محمد أبا زهرة عدّه عالماً في الأصول على المنهجين الإمامي والسّنِّي[٢٧].

ويبدو أن للتقارب الواضح بين علماء الإمامية والمعتزلة في هذه الحقبة أثره أيضاً وآية ذلك مانجده في كتاب (حقائق التأويل) للرضي عن كبار المعتزلة كما أشرنا سابقاً، وقد صرح الرضي في بعض المواضع من هذا التفسير باطلاعه على كتب المعتزلة كقوله في تفسير الآية ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٨] «إنَّ هذه الآية قد استقصى الأجوبة عنها شيوخ أهل العدل في كتبهم عن الكلام المتعلق بالوعيد»[٢٨]، وقد شهد للرضي بذلك شيخه أبو الفتح عثمان بن جنِّي حين قال: «إنَّ الرضي صنف كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله، دلَّ على توسع في علم النحو واللغة»[٢٩].

ونحن نعلم أن الشيخ الطوسي قد تأثر تأثراً واضحاً بأساتذته ولاسيما الرضي والمرتضى، وقد كان الرضي يفسر القرآن باللغة، وهو منهج سار عليه في تأويل الآي وقد أصَّله على قاعدة هي أنَّ القرآن لايحمل إلّا على اللغة الفصحى، والطريقة المثلى[٣٠]؛ ولذلك ردّ قول أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي، حيث جعل معنى (كنتم خير أمة) خيركم خير أمة مبيناً أنَّ فيه بعداً شديداً من سنن فصاحة اللسان العربي؛ وذلك أنَّ كان بمعنى صار، وإن استعملت على بعض الوجوه، فليس بالفصيح الجيد[٣١]وعلى هذه الشاكلة سار شيخنا الطوسي، وزاد د.كاصد ياسر الزيدي أنَّ من مصادر تفسير التبيان هي كتب معاني القرآن، وكتب التفسير بالمأثور، وكتب الحديث والقراءات[٣٢].

ويلزمنا البحث عند الحديث عند أثر الاعتزال في منهج الشيخ الطوسي في الدلالة القرآنية إلى الرجوع إلى مظاهر هذا الأثر الذي يعُّد من مرجعيات الشيخ في بيان الدلالة القرآنية، فقد أورد الطوسي أقوالاً كثيرة للجبّائي في التفسير والنزول والنسخ والمتشابه ومن ذلك على سبيل المثال في قوله تعالى﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٩]، إذ قال

إنَّ في تأويل الاستواء في الآية الكريمة وجوهاً، ثم جعل قول أبي علي ثاني وجهين فضلهما على هذه الوجوه فقال: «وأحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنَّه علا عليها ففسرها وارتفع فدبرها بقدرته... وبعد ذلك قول من قال: قصد إليها فخلقها»[٣٣] وهذا القول الأخير لأبي علي حكاه عنه القاضي عبد الجبار[٣٤]، وسيتم تفصيل ذلك والوقوف على أمثاله في المبحث الثاني.

ويظهر أن تراث المعتزلة على كثرته قد ضاع ولم يدون إلّا القليل منه، وقد أشار ابن طاووس(ت ٦٦٤هـ) إلى أسماء تلك المؤلفات، وأسماء أصحابها بالكامل والأجزاء التي رآها من كل منها، وما هو في مكتبته وما ليس فيها[٣٥]، وقد نقل ابن طاووس نقلاً حرفيًا من الكتب المتوفرة في خزانته، ومن تلك النقول مقتطفات منقولة حرفياً عن قدامى مفسري المعتزلة[٣٦].

ومن أهم المرجعيات التي اتكأ عليها الشيخ الطوسي في تفسيره هي (اللغة) بكل فروعها وصنوفها، واللغة عنده بينة أخرى في تبيان قوة المنقول أو ضعفه، فما وافق المفهوم اللغوي للفظة القرآنية بلحاظ الاطلاع، والتبادر فهو الأقوى عنده، ودونك قوله تعالى﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:٩٤]، قال الطوسي معلقاً على قول ابن عباس(ت٦٨هـ) الذاهب إلى أن معنى قوله ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ بمعنى فاسألوا الموت قال -أي الطوسي- وهذا بعيد، لأنَّ التمني بمعنى السؤال لا يعرف في اللغة[٣٧] والأمثلة على ذلك كثر[٣٨].

وكذلك نهج الشيخ منهجاً خصباً سليماً في التعاطي مع أسباب النزول فهو يأخذ بالأصل والقاعدة العامة وهي «أن العبرة بعموم اللفظ

لابخصوص السبب»[٣٩]، فيذكر سبب نزول بعض الآيات ثم يقول والمعتمد هو الأول وإن كان الأخير روي أنّه سبب نزول الآية غير أنه لايقصر عليه[٤٠]؛ لأنَّ غاية ما في السبب أن تطابقهُ الآية، فأما أن لا تتعداه، فلا يجب عند أكثر المحصلين[٤١] شرط ذلك أن يكون ذلك غير قادح بسلامة التأويل.

ووقف حائراً في كثير من المواضع في تفسيره من دون مرجح لكثير من الآراء التي يسوقها غير أنه يعلق عليها، قائلاً: «ولا يقطع بشيء من ذلك إلا بدليل يوجب العلم»[٤٢]، وحتى المأخوذ عنده طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لابَّد له ما يعضده من اللغة ونحوها، فنراه ينقل في تفسيره بعض الآيات القرآنية جلَّ أقوال الصحابة والتابعين ورأي أهل البيت(عليهم السلام) ثم يقول في قوله تعالى (مثلاً):﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦]، «والأول أقوى لما روي في أخبارنا؛ ولأنْ الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء، وحصره:منعه، ولهذا يقال: حصر العدو ولايقال: أُحصر»[٤٣].

ويجدر بنا القول ألاّ نكرر ما قيل لدى الباحثين عن الدلالة القرآنية، ومظاهرها.

فالشيخ الطوسي -كما هو مثبت في مظانه - مفسر جامع لشرائط العلم والمعرفة ولغوي ونحوي بارع عمل على سمت أساتذته وأقرانه ولكن يجدر بنا القول إلى إظهار هذه المرجعيات، وهي خليط من أصول عقائدية وفقهية واجتهادية منابعها لغوية بحتة، وأنت تعلم أنَّ دلالة الألفاظ - تعود إلى أصول حسّية تنطلق منه أصوات المسموعات ثم تطورت كما يقول ابن جني:

«وهذا عندي وجهٌ صالح ومذهب متقَّبل»[٤٤] وكذلك مناسبة الألفاظ للمعاني وهو موضوع شريف لطيف قد نبه عليه الخليل من قبل[٤٥]؛ ولذا قد حُدد مرجع دلالة الألفاظ عند الأوائل بثلاثة محاور متماثلة الايحاء وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل، وهي وإن اختلفت المقاصد منها مختلفة[٤٦].

والشيخ الطوسي هو ابن هذه البيئة العلمية صاحب منهج التنظير المتتابع في التنقل بين حقول المعرفة الدلالية في ميادين الصناعة اللفظية من وجه، والقيمة الفنية من وجه آخر، فمن دلالة لغوية إلى أخرى عرفية، ومن حقيقية إلى مجازية، أي أنَّ دلالة اللفظ عنده ينبغي أن تُصاحب كل حالةٍ دلالة خاصة، وهو على منهج الأوائل الذين يَعْجبون أن تكون الألفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة واضحة كلها، وإذا نظر إليها مع التركيب احتاجت إلى استنباط وتفسير على الرغم مما قيل : إنَّ الفكر التفسيري لم يكن محيطاً بمكنونات المعنى الأعمق[٤٧]. على نحو كامل وقد صار يشكل عائقاً معرفياً على رأي بعضهم[٤٨].

المبحث الثاني:
الاعتزال ومظاهره الدلالية في تفسير التبيان.

لا ضير في أنّ اللغة بأي شكل من الأشكال هي سُّر هذا الوجود؛ لأنها تدل على معاني الأشياء، تصبح رموزاً وقد تصير علامات «ولاشك في أنّها مسكن الكائن في هذا الوجود»[٤٩].

كانت اللغة وسيلتنا الأساسية لفهم الكائن، وستكون هي نفسها أداة عدم فهمنا له؛ لأنَّ أقصى ما ستقدمه لنا مجموعة أوصاف تضمر أكثر ممّا توحي. وعلى الرغم من ذلك كلِّه، فاللغة بلا منازع هي الوسيط الكلّي الذي نستنبط في كل تجربة تتعلق بالمعنى، ومسالك

الدلالة وآلياتها تمثل نزعة، وتجربة يسير عليها المفسِّر، ويعمل جاهداً في التوسل إليها من أجل إظهار المعنى ولا شيء غير المعنى، ولاشك أيضاً في أنَّ الوسيط بين اللغة والفهم هو الإجراء التأويلي.

أقول: ونحن بصدد إظهار أثر الفكر الاعتزالي في تفسير التبيان قد بينا من قبل أنَّ الاعتزال بوصفه رافداً وفكراً له أصوله ومناهجه قد تأثر به وأخذ منه ولجأ إليه كثير من الدارسين والمفسرين، وكانت له هيمنته وسطوته ورجاله وقد استوى سوقه في برهة زمنية محددة ثم ضعف بعد ذلك لأسباب سياسية وأخرى.

وأنت تعلم أن البرهة الزمنية التي عاش فيها الشيخ الطوسي، كان فيها ساسة الكلام وسدنته في أغلب العلوم النقلية والعقلية هم من المعتزلة وغيرهم وقد عاش الطوسي في كنفهم عالماً ومتعلماً، قال الدكتور كاصد الزيدي: «لم يقتصر الطوسي على كتب أصحابه الإمامية في التفسير، وإنما أضاف إليها من نظراته الشاملة للتراث الإسلامي كتب غيرهم من مفسري الأمة، فأفاد من مصادر أهل السنة والمعتزلة على السواء»[٥٠].

ومن أهم التفاسير التي اعتمد عليها الطوسي في تفسيره هو تفسير أبي علي الجُبّائي[٥١] وقد نقل منه القاضي عبدالجبار نقولا في كتابه (متشابه القرآن)[٥٢] والشريف الرضي في حقائق التأويل[٥٣].

وفي تفسير قوله تعالى﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠]، ذهب الطوسي إلى ما ذهب إليه أبو علي الجُبّائي،فقال:

«وقال أبو علي وهو معطوف (أي عبدَ الطاغوت) على قوله ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ﴾ومن﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ ومن جعل منهم القردة والخنازير، وليس معطوفًا على قوله ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فعلى هذا سقطت الشبهة»[٥٤] أي أنّ ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ معطوف على من ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾وليس على﴿جَعَلَ مِنْهُمُ﴾ فهم القردة والخنازير، والتقدير على هذا: من لعنه الله، وغضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير، وبذلك تسقط شبهة من يظن أنّ الله جعلهم يعبدون الطاغوت.

وعند الرجوع إلى القاضي عبد الجبار نجده ينقل - في الموضع نفسه - عن أبي علي الجبائيّ قائلاً: «وقال شيخنا أبو علي رحمه الله: إنَّ تقدير الكلام: قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ومن عَبَدَ الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير»[٥٥].

والحق أنَّ الشيخ الطوسي قد رجع في هذه الآية الكريمة إلى شيوخ المعتزلة وهم (البلخي والرمانيّ)[٥٦] وكذلك أبي علي الجبائي وذكره ثلاث مرات في القراءة القرآنية أولاً وفي معنى (الطاغوت) ثانياً إذ قال: «قال أبو علي: وهو هاهنا العجل، الذي عبدته اليهود...» ثم ثالثة حينما ذكرناه في الأعلى من ترجيحه للعطف، وفي ذلك دلالة واضحة على تمسكه في ما ذهب إليه الجبائي من دون محاورة ومناقشة لرأيه، وهو بذلك أي الطوسي يخالف جملة من النحاة واللغويين[٥٧].

ويبدو أنَّ الشريف المرتضى لم يخرج عمّا أشار إليه الشيخ الطوسي، غير أنَّ الشيخ الطوسي قد أخذ ذلك من أبي علي الجبائي ولم يشر إلى أستاذه المرتضى وربما يكون المرتضى قد أخذ ذلك من

الجبائي أيضاً، قال السيد المرتضى: «وفي الآية وجه آخر: هو أن لا يكون قوله تعالى﴿وعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ معطوفاً على القردة والخنازير، بل معطوفاً على﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾؛ وتقدير الكلام: أن من لعنه الله ومن غضب عليه، ومن عبد الطاغوت، ومن جعل الله منهم القردة والخنازير، وهذا هو الواجب؛ لأنَّ «﴿وَعَبَدَ﴾ فعل، والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لّكُنَّا قد عطفنا فعلاً على اسم فالأولى عطفه على ما تقدم من الأفعال»[٥٨].

ومعلوم أنَّ الشيخ الطوسي كان يفضل رأي الجُبّائي أحياناً على ما ورد عند ابن عباس وقتادة وعطاء[٥٩]. وكثيراً ما يشير إلى موافقة الجبائي لما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)[٦٠].

ويعلق الطوسي أحياناً على كلام الجبائي بأنه «هو الأقوى»[٦١] أو «وهو الظاهر»[٦٢]أو «وهو الصحيح»[٦٣]، أو «وهو الظاهر في أخبارنا»[٦٤]، أو«وما قلناه اختاره الجبائي والطبري وهو المعتمد عليه في تأويل الآية»[٦٥] وأحياناً أخرى يفضل الطوسي كلام الرماني[٦٦] والبلخي[٦٧]عليه، وأخرى يعلق عليه قائلاً: «هذا فاسد؛ لأنّه خلاف أقوال المفسرين»[٦٨]، أو قوله «وهذا غلط وقبيح جداً في اللغة»[٦٩].

وزاد الطوسي في ردّه على الجبائي، محاوراً له بشكل مفصل في كثير من المسائل[٧٠]. ومن الأمثلة التي نقل فيها الطوسي رأي كثير من العلماء وذكر الجبائي فيها هي قوله تعالى﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران:٧]، يذكر الطوسي أنَّ في الآية وجهين الأول مروي عن عائشة والحسن البصري،

وهو أنه ما يعلم تأويل جميع المتشابه إلاّ الله ؛ لأنَّ فيه ما يعلمه الناس، وفيه ما لا يعلمونه نحو: وقت الساعة وما بيننا وبينها من مدّة، ويصرح أنَّ أبا علي الجُبائي وأكثر المتأولين اختاروا هذا الوجه[٧١] والمتأول عندهم معناه الموعود به.

ويبدو أن الشيخ الطوسي قد أخذ ذلك نصاً ممّا نقله الشريف الرضي قائلاً أي الرضي «فأمّا المحققون من العلماء فيتفقون في ذلك على منزلة وسطى وطريقة مثلى، فلا يخرجون العلماء ههنا عن أن يعلموا شيئاً من تأويل القرآن جملة، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعه أو الاستيلاء على قليله وكثيره، بل يقولونه: إنَّ في التأويل ما يعلمه العلماء، وفيه مالا يعلمه إلاّ الله تعالى: من نحو تعيين الصغيرة ووقت الساعة وما بيننا وبينها من المدة... وهذا قول جماعة متقدمي العلماء... وإليه ذهب أبو علي الجُبائي؛ لأنّه يجعل المراد بالتأويل في هذه الآية مصائر الأمور وعواقبها...؛ لأنَّ أصل التأويل من قولهم: آل يؤول إذا رجع»[٧٢].

والحق أنَّ الشيخين (الرضي والطوسي) في النصين المتقدمين قد ذكرا أبا علي الجبائي وبينا رأيه في الآية الكريمة، ولم يبين لنا الطوسي إلى أي الرأيين يذهب، في حين أن الرضي قد زاد على ذلك محاوراً ومناقشاً لجملة من العلماء، لاسيما أبي حاتم السجستاني من أجل الدفاع عن رأي الإمامية، ودلالة العطف في قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ حملاً على رأي الإمامية[٧٣].

ويظهر للمتتبع لتفسير التبيان أن الشيخ الطوسي قد ذكر كبار رجالات المعتزلة ونقل عنهم في تفسيره بطرق لا تحصى ولا تعَّد موافقاً لهم ومخالفاً، وفي كثير من المواضع يذكر آراءهم من دون التصريح بالمنع، أو الأخذ

بما قالوا، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً ولكني أريد القول إنَّ الإحصاء الذي أشار إليه صاحب موسوعة تفاسير المعتزلة يكاد أن يكون غير دقيق، بل بحسب التدقيق أنَّ الرأي الأهم في مناقشة المفسرين كان من نصيب أهل الاعتزال في تفسير التبيان، بمعنى أنه تكاد لا توجد صفحة لم يذكر فيها الشيخ أهل الاعتزال، ولنأخذ مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى:﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧]، إذ نقل الطوسي رأي الجُبّائي في الآية الذي يرى أنه خاف عليهم حسد الناس لهم وأنكر العين، وقال لم تثبت بحجة وإنما هو شيء يقوله الجهال العامة، وردَّه الطوسي قائلاً: «والذي قاله غير صحيح في أمر العين، بل غير منكر أنْ يكون ما قاله المفسرون صحيحاً... وقد جرت العادة به، واختاره البلخي والرماني وأكثر المفسرين»[٧٤]، وزاد الطوسي على ذلك قائلاً: «وليس يمتنع أن يكون الله أجرى العادة بضرب من المصلحة أنَّه متى ما نظر إنسان إلى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصحة إهلاكه أو إمراضه أو إتلاف ماله»[٧٥] وكذلك نقل ابن شهر أشوب (ت٥٨٨هـ) عن الرماني أنَّ العين تحصل بالعادة من فعل الله كما يحصل الشفاء من الأدوية وهو اختيار المرتضى[٧٦]. وفي قوله تعالى:﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢]، نقل لنا الطوسي قول البلخي المتعلق بالهاء في قوله تعالى﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾، وأنها تحتمل أن تكون عائدة إلى النكاح بعد النهي، ويحتمل أن تكون عائدة على النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية قبل، ثم زاد قائلاً: إنَّ الرأي الأول اختاره

الجُبَّائي وهو الأقوى عند الطوسي، وقد عزّز ذلك بقول البلخي قائلاً: «قال البلخي وليس كل نكاح حرّمه الله زنا؛ لأنَّ الزنا هو فعل مخصوص، لا يجري على طريقة لازمة، وسنة جارية، ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية: أولاد زنا، ولا لأولاد أهل الذّمة والمعاهدين: أولاد زنا، إذا كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه»[٧٧] وقد نقل ذلك الرضي عن البلخي بقضه وقضيضه بل زاد عليه[٧٨] وظاهر كلام الرضي والطوسي أنهما قد وافقا البلخي في كل ما قال، وعدم محاورته ومجادلته في ذلك خير دليل على ذلك.

وينقل الطوسي أحياناً عن أبي مسلم كلاماً في غاية الاستغراب غير أنَّه يستملحه وهو بصدد تفسير قوله تعالى:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، إذ قال: «وقال أبو مسلم: معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والأرض لو بيعا. كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع...وهذا مليح غير أنَّ فيه تعسفاً شديداً»[٧٩]، وقد تبعه في ذلك الطبرسي[٨٠]، وعلق عليه الآلوسي قائلاً: «ولا يخفى أنه على ما فيه من البعد خلاف المأثور عن السلف الصالح من أنَّ المراد وصفها بأنَّها واسعة»[٨١].

وقد نقل الشريف الرضي كلام أبي مسلم مع اختلاف يسير في العبارة ثم علق عليه قائلاً: «إنَّ هذا التأويل من اعتساف أبي مسلم، وخبطه، واستكراهه، وتعمقه، وقد قال الشاعر(وعند التعمق الزلل)، ويكفي فساد قوله هذا، إجماع الأئمة على خلافه، مع ما فيه من شواهد التعسف ودلائل التكلف»[٨٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا

آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، وتحديداً عند قوله ﴿وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ نقل لنا الطوسي كلام جلّ العلماء في الهاء من زوجك، ثم نقل لنا قول الرماني قائلا: «الزوج: بطرح الهاء قال الأصمعي:هو أكثر كلام العرب، وقال الكسائي: أكثر كلام العرب بالهاء، وطرح الهاء لغة لأزدشنوءة، ولفظ القرآن لم يجيء إلا بطرح بالهاء. وقال المبرد: الوجه طرح الهاء من الزوجة وأنشد:

وأراكم لدى المحامات عندي

مثل صوت الرجال للأزواج

جمع زوج، ولا يجوز أن يكون جمع زوجة. وقال الرماني: قول الأصمعي أجود؛ لأنَّ لفظ القرآن عليه، والعلة في ذلك أنه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في أكثر الكلام كانت مشبهة له، وكان بطرح الهاء أفصح وأخف مع الاستغناء بدلالة الإضافة عند دلالة هاء التأنيث»[٨٣].

ويظهر أنّه عوَّل على ما ذكره الرماني ولم يزد عليه، وقيل: «إنَّ الطوسي أخذ من تفسير الرماني التفسير والقراءات واللغة وغيرها»[٨٤] وأحياناً يأخذ الطوسي من تفسير الرماني من دون الاشارة إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]، فقال: «أي قرنت أيديهم بالغِّل إلى أعناقهم، وقال الجبائي قرن بعضهم إلى بعض، والصفد: الغل الذي يقرن اليد إلى العنق ويجوز أن يكون السلسلة التي يقع بها التقرين. وأصل الصفد: القيد، وهو الصاد وجمعه أصفد...»[٨٥] وهو نص كلام الرماني بعد طرح صيغ السؤال والجواب إلا أنَّ الرماني قال: قال أبو علي[٨٦].

نتائج البحث:

١- إنَّ الشيخ الطوسي مفسر له أدواته اللغوية بأنواعها ومرتكزاته العقدية والفقهية والكلامية التي تستند على مرجعيات روائية وقرآنية قوامها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

٢- إنَّ القرون الهجرية الثلاثة الأولى تداخلت فيها العلوم اللغوية والفقهية والتفسيرية ولم تظهر مدونة تفسيرية كاملة ومعتبرة إلا في بداية القرن الرابع الهجري على يد العلامة الطبري، وهي مدونة روائية بالدرجة الأولى، وقد أفاد الطوسي منها بشكل رئيس في أبحاثه التفسيرية والروائية.

٣- لا شكَّ في أنَّ معطيات علم التفسير تحتاج إلى متذوق برؤية مختلفة، ولم يكن أمام الشيخ الطوسي غير فرسان هذا الميدان، وهم رجالات المعتزلة والأشاعرة وأهل الحديث في ذلك الزمان.

٤- مال الشيخ الطوسي إلى الأخذ ممّن تقدمه من اللغويين والمفسرين أصحاب الشأن وأهل العلم في هذا المضمار، وقد صنفهم الشيخ في مقدمة تفسيره بحسب الأهمية، وهم أهل الفن والصناعة في ذلك.

٥- الاعتزال بوصفه رافداً تفسيرياً قد أفاد منه الشيخ الطوسي كثيراً في تفسيره مصرحاً به، أو منوهاً، أوراداً، أو متقبلاً، ومتبيناً.

٦- للشيخ الطوسي رأيٌ مختلف ومتابع لسيرة أهل البيت في كثير من المواضع وهذا لا يعني أنه لا يأخذ برأي غيره من المعتزلة، أو غيرهم إذا تطابق ذلك مع غرضه التفسيري، ولم يخرج عن حدود اللغة ومسوغاتها.

٧- لم تركز الدراسات السابقة على ظاهرة الاعتزال في تفسير التبيان غير أنها أشارت إلى ذلك بلحاظ تأثر الشيخ بغيره، وتصريحه بذلك.

٨- ما يحسب للشيخ الطوسي أن مدونته التفسيرية (التبيان في تفسير القرآن) هي أولى مظاهر التفسير الشيعي الكاملة، التي سعى الشيخ فيها جاهداً الى أن يجمع كل ما تقدمه من العلوم.

٩- بعد التتبع وبمتابعة الدراسات التي تناولت آثار الفرق الإسلامية، ولاسيما المعتزلة تبين لنا أن تراث المعتزلة قد ضاع في بطون الكتب، ولم تصل إلينا من مدوناتهم غير القليل بيد أن هذا التراث لعمقه، ودقته، وعلو كعب رجالاته قد استشهد به جلُّ المتقدمين من العلماء في كافة الميادين العلمية؛ لذا وجدنا الشيخ الطوسي (رحمه الله) قد عوّل عليه كثيراً، وهو يذكر كبارهم بوقار ويصفهم بأهل العلم.

١٠- الحق أنَّ الشيخ الطوسي لم يرد أن يخفي ذلك التراث الضخم الذي تركه المعتزلة، وفي الوقت نفسه لم يغفل عن تراث ملته وموجهات عقيدته الإمامية غير أنَّ الذي يبدو على كتاباته ولاسيما في تفسيره التبيان - قد تبنى أحياناً وبشكل لافت للنظر- ما قاله أهل الاعتزال دون تعليق أو إضافة وفي موضع آخر يحاول أن يرد عليهم حينما يجد هذه المتبنيات قد تتعارض مع ما يذهب إليه.

١١- قد نبخس الرجل حقَّه إذا قلنا إنَّه مقلد لمن تقدمه في علم التفسير ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى إنّه مختلف في عمق أبحاثه وهو أول من تصدى للردّ والاتفاق والافتراق لمظاهر العلوم الدينية وحسبه أنَّ ذلك يُحسب له.

١٢- نتاج تراث الشيخ خليط من مذاهب ورجالات عصره، وقد ثبت خلال البحث أنَّ أساتذته من العامة والخاصة، وهو أستاذ للعامة والخاصة بورك سعيه.

الهوامش:

١- التفكير الدلالي عند المعتزلة : ١٧.

٢- قضايا اللغة في كتب التفسير: الهادي الجطلاوي : ٢٥.

٣- يبدو أنَّ للتقارب الواضح بين علماء الإمامية والمعتزلة في هذه الحقبة أثره، وآية ذلك ما نجده في كتاب -حقائق التأويل) للشريف الرضي من نقول عن كبار المعتزلة... فظهور هذا التأثير في كتابات الشريفين هو الذي حدا ببعض المعاصرين أن يعدوا المرتضى من المعتزلة، مع أنَّه إمامي بشهادة كل من ترجم له من القدماء. ينظر: منهج الشيخ الطوسي:٣٢.

٤- تنزيه الأنبياء: ٣ أمالي امرتضى: ٢/ ٣٣٧ينظر:الدلالةالقرآنية:٥٧-٥٨.

٥-ينظر:معجم الأدباء:ياقوت: ٢٤٧.

٦- ينظر: الفهرست: ابن النديم: ٥٧.

٧-ينظر: الفهرست: ابن انديم:٥٧.

٨-المنية والأمل: الشريف المرتضى:٣٢.

٩- ينظر: كشف الظنون: حاجي خليفة: ١/ ٣٠٩.

١٠- طبقات المفسرين: ٣٣.

١١-ينظر:الفهرست:ابن النديم:١٩٦.

١٢- المنية والأمل: ٦٥.

١٣- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. مصطفى الصاوي الجويني:٧٣-٧٤.

١٤- التبيان في تفسير القرآن:١/ ٧٥.

١٥- منهج الشيخ الطوسي: ١٥.

١٦- المعالم الجديدة ي الأصول: السيد محمد باقر الصدر: ٥٦-٥٧.

١٧- ينظر: حياة الطوسي: الطهراني: ٥

١٨-ينظر:حقائق التأويل:٥٢،٥٣،٩٢.

١٩- ينظر:نفسه:١٠.

٢٠- ينظر: نفسه: ٨٧، ٢٢١، ٨٨.

٢١- ينظر: نفسه: ٩٥، ١٣٧، ٢١٨.

٢٢- ينظر: نفسه: ١٠، ٢٢، ٤١، ٥٩.

٢٣- ينظر: منهج التسير: ٢١٨.

٢٤- ينظر : على سبيل المثال : علم

الدلالة : مختار عمر:٥٦.

٢٥- منهج الشيخ أبي جعفر : كاصد الزبيدي: ١٨.

٢٦- مناهج تجديد : أمين الخولي : ٤

٢٧-ينظر:الأمام الصادق:أبوزهرة:٢٦.

٢٨- حقائق التأويل : ٣٦١.

٢٩-وفيات الأعيان:ابن خلكان:٣/ ٤٥.

٣٠- ينظر : حقائق التأويل : ٢١٨.

٣١- ينظر : نفسه: ٢١٨.

٣٢- ينظر : منهج الشيخ،٤٤،٤٣.

٣٣- التبيان : ١ / ١٢٥.

٣٤-ينظر: متشابه القرآن:١/ ٧٤←في الهامش ينقل كلام طويل عن موسوعة تفاسير المعتزلة ج ٣ ص ب من قول أمّا القاضي.

٣٥- ينظر : موسوعة تفاسير المعتزلة : ٣ / ج من المقدمة - ينظر: كتاب سعد السعود للنفوس : ابن طاووس: ٢٠٠.

٣٦- ينظر : موسوعة تفاسير المعتزلة : ٣/ المقدمة -أ.

٣٧- ينظر : التبيان : ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨

٣٨- ينظر : على سبيل المثال : التبيان : ١ / ٤٥٥، ٢ / ٢٣٥ - ٣٥٦ وغيرها

٣٩- الإتقان : السيوطي : ١ / ٢٩.

٤٠- ينظر : التبيان : ٣ / ٢٣٤.

٤١- ينظر : نفسه : ٢ / ٢٢٤.

٤٢- نفسه : ٢ / ٢٩٣.

٤٣- نفسه: ٢ / ١٥٥.

٤٤- الخصائص : ١/ ٤٦ - ٤٧.

٤٥- ينظر : المزهر : ٤٧ ومابعدها.

٤٦- ينظر : الصاحب : ١٩٣.

٤٧- هرمنيو طيقا القرآن مقدمة تأسيسية عبد العالي العبدوني ص ١٦٣.

٤٨- ينظر : مدخل إلى القرآن الكريم محمد عابد الجابري : ٩٧.

٤٩- اللغة والمعنى، متقاربات في فلسفة اللغة : مجموعة باحثين: ٩.

٥٠- منهج الشيخ الطوسي: ٦٢.

٥١- ينظر: طبقات المعتزلة : ابن المرتضى : ٨٤، وطبقات المفسرين :

الداوودي : ٢ / ١٨٩.

٥٢- ينظر: مثلاً١/ ١٧٢،١٩٠، ١٧٠.

٥٣- ينظر: حقائق اتأويل: ٦٧،٦٩، ٢،١٠،٢٠،٢.

٥٤- التبيان : ٣ / ٥٢٤.

٥٥- متشابه القرآن : ١ / ٢٣٠.

٥٦- ينظر : التبيان : ٣ / ٥٢٣.

٥٧- ينظر: معاني القرآن : الفراء :١ / ٢١٤، مشكل اعراب القرآن : مكي : ١/ ٢٦٩، البيان في غريب أعراب القرآن :ابن الأنباري ١ / ٢٦٠، البيان : العكيري.

٥٨- تفسير الشريف المرتضى :٢/ ١٢٨.

٥٩- ينظر : التبيان : ٢ / ١٤٢، ٢ / ١٥٨، ١٥٩

٦٠- ينظر : التبيان : ٢ / ٧٧، ١٦٢، ٢٢٦، ٣٣٣، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٤٨، ٣ / ١١٧، ١٤٨، ١٦٢، ٢٠٥، ٢٣٢، ٢٨٥.

٦١- التبيان : ١/ ٤٥٥، ٣/ ١٥٤، ٦ / ١٥

٦٢- نفسه : ٦ / ١٣٣.

٦٣- نفسه : ٦/ ١٣٣.

٦٤- نفسه : ١/ ٤٤٢، ٤٥٣.

٦٥- نفسه : ٣ / ١٣٢.

٦٦- نفسه : ٢ / ٤٤.

٦٧- نفسه : ٢ / ٤٦.

٦٨- نفسه: ٢ / ٨، ١٤.

٦٩- نفسه: ٤ / ٢٤٣، ٢٩٧.

٧٠- نفسه : ١ / ١٠٢، ١٠٣، ٢ / ٢١٠، ٦ / ٤١، ١٣٥.

٧١- نفسه : ٥ / ٣٩٥.

٧٢- حقائق التأويل:٨.

٧٣- ينظر : حقائق التأويل : ١٤.

٧٤- التبيان : ٦ / ١٥١ - ١٥٢.

٧٥- التبيان: ٦/ ١٥٢.

٧٦- متشابه القرآن: ١/ ١٧٣.

٧٧- التبيان : ٣ / ١٤٩.

٧٨- ينظر : حقائق التأويل : ٣١٧.

٧٩- التبيان : ٢ / ٥٧٨. والتفسير الكبير : ٩ / ٦.

٨٠- ينظر : مجمع البيان : ٢ / ٢٩٦

٨١- روح المعاني : ٢ / ٢٧٢

٨٢- حقائق التأويل : ٢٤٣

٨٣- التبيان : ١/ ٢٢١

٨٤- منهج الشيخ الطوسي : ٧٦

٨٥- التبيان : ٦ / ٣١٠

٨٦- ينظر : منهج الشيخ الطوسي: ٧٦.

المصادر والمراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن،(ت٩١١هـ) ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

٢- أمالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢دار الكتاب العربي،، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٣- الأمام الصادق أبو زهرة،دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة،(دت).

٤- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تح: أحمد حبيب نصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.(د.ت).

٥- البيان في غريب القرآن، الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ) تح: د.طه عبد الحميد طه، ومصطفى السقا، دار الكتاب العربي القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٧٩م.

٦- تفسير الشريف المرتضى، المسمى نفائس التأويل، جمعه لجنة من العلماء، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،١٤٣١هـ.

٧- التفسير الكبير المسمى(مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، محمد بن عمر،(ت٦٠٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران،.(د.ت).

٨- التفكير الدلالي عند المعتزلة، د.علي حاتم الحسن، الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٢م.

٩- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، منشورات المدرسة العليا للشهيد مطهري، ١٣٣٠هـ.

١٠- حقائق التأويل في متشابه التنزيل،

الرضي محمد بن الحسين الموسوي، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

١١- حياة الطوسي، في أول تفسير التبيان، طبعة النجف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٢- الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ) تح: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،، ١٩٦٣م.

١٣- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د.حامد كاظم عباس، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٤م.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٥- طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى، تح: سوسنه ديلفد، فكزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣٨٠هـ.

١٦- طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، تح: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ.

١٧- علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، ط١، جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.

١٨- الفهرست، ابن النديم (ت٣٨٥هـ)، محمد بن اسحاق، تح: د.ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م.

١٩- قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج - التأويل- الإعجاز، د. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، كلية الآداب، سوسة، الجمهورية التونسية، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب

والفنون، حاجي خليفة، مطبعة العالم، ط١، ١٣١٠هـ.

٢١- اللغة والمعنى، مقاربات في فلسفة اللغة، مجموعة باحثين، إعداد: مخلوف سيد أحمد،منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٢- متشابه القرآن والمختلف فيه، ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)، العارف للمطبوعات، جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ)، ط١، دار المعرفة للطباعةوالنشر،قم،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٤- مدخل الى القرآن الكريم الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحد العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تح:محمد جاد المولى، ومحمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل ودار الفكر بيروت، لبنان. (د.ت).

٢٦- مشكل إعراب القرآن، القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ) تح:ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ.

٢٧- المعالم الجديدة ي الأصول: السيدمحمد باقر الصدر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،ط٢، ١٩٧٥م.

٢٨- معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، تح:أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار السرور. ١٩٥٥م.

٢٩- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٣٠- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، مكتبة

الأسرة، القاهرة، ٢٠١٧م.
٣١- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، ط٣، القاهرة.
٣٢- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم دراسة لغوية نحوية بلاغية، د.كاصد ياسر الزيدي، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤م.
٣٤- موسوعة تفاسير المعتزلة، دراسة وتحقيق الدكتور خضر محمد نبها، تقديم: الدتور رضوان السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧.
٣٥- هرمنيو طيقا القرآن مقدمة تأسيسية عبد العالي العبدوني،٣٦.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان(ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، د. ط.